أبي بكر بن العربي

أعـــلام القضـــاء

القاضي أبي بكر بن العربي

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأشبيلي المالكي.

ولد في سنة ٢٢ شعبان سنة ٤٦٨هـ ٣١ مارس ١٠٧٦م، بمدينة أشبيلية، في أحضان أسرة كانت لها حظوة لدى المعتمد بن عباد في عصر دول الطوائف.

مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

- قال الشيخ صديق حسن خان [١]: " إمام في الأصول والفروع، سمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، وصنف في غير فن، والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله، فأحسن الصبر على ذلك كله ". أهـ.

وقال الشيخ العلامة أحمد بن محمد الشهير بالمقري من كتابه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ": " علم الأعلام، الطاهر الأثواب، الباهر الأبواب، الذي أنسى ذكاء إياس، وترك التقليد للقياس، وأنتج الفرع من الأصل، وغدا في الإسلام أمضى من النصل " أهـ، من التاج المكلل.

فوائد منقولة عنه:

١ - قوله: قال علماء الحديث: ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهة نضرة؛ لقول النبي ﷺ:«نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها..» [٢].

---

(١) " التاج المكلل ": ٣٠٨/٢٨٠.

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٦٥٩، وابن ماجه ٨٤/١ من حديث عبد الله بن مسعود رضي

قال: وهذا دعاء منه ﷺ لحملة علمه، ولابد بفضل الله تعالى من نيل بركته ".

٢ - ومنها أيضًا:

قوله: " تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري حديث أبي ثعلبة المرفوع: " إن من ورائكم أيامًا للعامل فيها أجر خمسين منكم، فقالوا: منهم؟ فقال: بل منكم، لأنكم تجدون على الخير أعوانًا، وهم لا يجدون عليه أعوانًا " [(١)]، وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتي من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الإسلام وعضدوا الدين، وأقاموا المنار، واقتحموا الأمصار، وحموا البيضة، ومهدوا الملة.

وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح في البخاري:«لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبًا ما بلغ أحدهم ولا نصيفه» [(٢)] فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح، وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد، ولا يدانيهم فيها بشر، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص إخلاصهم، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين، والإسلام،

الله عنه، وإسناده صحيح، وقال الترمذي: حسن صحيح، وفي الباب عن زيد بن ثابت، عند الترمذي وابن ماجة، وصححه ابن حبان، وعن جبير بن مطعم عند أحمد وابن ماجة. قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٧٦٣ في صحيح الجامع.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/١٥، ومسلم (٢٦٧٢)، والترمذي (٢٢٠٠)، وابن ماجه (٤٠٥١)، وأبو عوانة - كما في " إتحاف المهرة " ٣٠/١٠ - من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٢٣٣ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه لطيالسي، وأحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان عن أبي سعيد. مسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة قال الألباني: صحيح الترمذي (٤١٣٤).

وهو أيضًا انتهاؤه؛ وقد كان قليلًا في ابتداء الإسلام صعب المرام؛ لغلبة الكفار على الحق؟ وفي آخر الزمان أيضًا يعود كذلك؛ لوعد الصادق ﷺ بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتي من سنن من مضى من أهل الكتاب، كما قال ﷺ: " لتركبن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه ".

وقال ﷺ: " بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء ". رواه مسلم.

فلابد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الإسلام إلى واحد كما بدأ من واحد، ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف، وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنًا منه، معانًا عليه بكثرة الدعاة إلى الله تعالى، وذلك قوله: " لأنكم تجدون على الخير أعوانًا، وهم لا يجدون عليه أعوانًا " حتى ينقطع ذلك انقطاعًا تامًّا؛ لضعف الدين، وقلة اليقين.

كما قال ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله: الله " رواه مسلم، ويروى برفع الهاء ونصبها؛ فالرفع على معنى: لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل؛ والنصب على معنى: لا يبقى آمر بمعروف، وناهٍ عن منكر.

٣ - ومن فوائده أيضًا:

أنه قال: كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور بن جهير؛ فقرأ القارئ: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب: ٤٤]، وكنت بظهر أبي الوفاء بن عقيل إمام الحنبلية بمدينة السلام، وكان معتزلي الأصول، فلما

سمعت الآية، قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري: هذه الآية دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة، فإن العرب لا تقول: لقيت فلانًا إلا إذا رأته، فصرف أبو الوفاء وجهه مصرعًا إلينا؟ وقال: ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله لا يرى في الآخرة، فقد قال تعالى: { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ } [التوبة: ٧٧]، وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة، وقد شرحنا وجه الآية في المشكلين وتقدير الآية: فأعقبهم هو نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه؛ فيحتمل ضمير{يَلْقَوْنَهُ } أن يعود إلى ضمير الفاعل في{ فَأَعْقَبَهُمْ} المقدر بقولنا " هو "، ويحتمل أن يعود إلى النفاق مجازًا على تقدير الجزاء ". اهـ.

فلابد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الإسلام إلى واحد كما بدأ من واحد، ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف، وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنًا منه، معانًا عليه بكثرة الدعاة إلى الله تعالى، وذلك قوله: " لأنكم تجدون على الخير أعوانًا، وهم لا يجدون عليه أعوانًا " حتى ينقطع ذلك انقطاعًا تامًّا؛ لضعف الدين، وقلة اليقين.

كما قال ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله: الله " رواه مسلم، ويروى برفع الهاء ونصبها؛ فالرفع على معنى: لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل؛ والنصب على معنى: لا يبقى آمر بمعروف، وناهٍ عن منكر.

٤ – ومن فوائده أيضًا:

أنه قال: كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور بن جهير؛ فقرأ

القارئ:{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب: ٤٤]، وكنت بظهر أبي الوفاء بن عقيل إمام الحنبلية بمدينة السلام، وكان معتزلي الأصول، فلما سمعت الآية، قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري: هذه الآية دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة، فإن العرب لا تقول: لقيت فلانًا إلا إذا رأته، فصرف أبو الوفاء وجهه مصرعًا إلينا؟ وقال: ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله لا يرى في الآخرة، فقد قال تعالى: { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ } [التوبة: ٧٧]، وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة، وقد شرحنا وجه الآية في المشكلين وتقدير الآية: فأعقبهم هو نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه؛ فيحتمل ضمير{يَلْقَوْنَهُ } أن يعود إلى ضمير الفاعل في{ فَأَعْقَبَهُمْ} المقدر بقولنا " هو "، ويحتمل أن يعود إلى النفاق مجازًا على تقدير الجزاء ". اهـ.

مؤلفاته:

للإمام القاضي أبي بكر بن العربي مؤلفات كثيرة لم يصلنا أغلبها، وقد قضى أربعين سنة في الإملاء والتدريس، وفي بث ما حصله من العلوم، ونستطيع أن نصنف أسماء مصنفاته حسب موضوعاتها.

أما التصنيف حسب تاريخ تأليفها فمن الصعب القيام به؛ لأنه يحيل إلى كتبه في أماكن كثيرة من مصنفاته، مما يدل على أنه يملي في وقت واحد عدة كتب، وأنه لا يقتصر على كتاب واحد حتى يفرغ منه، ثم يبدأ في غيره[1].

أ - علوم القرآن:

١ - أحكام القرآن

(١) د. عمار طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ١/٥.

لا شك في نسبة هذا الكتاب إلى أبي بكر بن العربي؛ لأنه قد ذكره في كتابه: " شرح صحيح الترمذي " المسمى بـ " عارضة الأحوذي " [1]. وذكره في " سراج المريدين " [2].

ونسبه إليه تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه، ونسبه إليه ابن فرحون في " الديباج ".

٢ - أنوار الفجر

هو أعظم كتاب له، كان كثيرًا ما يفتخر به، ويشيد بأهميته في مختلف كتبه، ذكر أنه ألفه في مدة عشرين عامًا، وأن به ثمانين ألف ورقة، ولم يصل إلينا شيء منه فيما نعلم.

٣ - قانون التأويل

ذكر أبو بكر بن العربي أنه ألفه في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وصرح بذلك في مقدمة كتابه " عارضة الأحوذي وذكره المقرئ في " نفح الطيب.

٤ - الناسخ والمنسوخ

ذكره في كتابه " سراج المريدين " وتحدث عنه في عدة مواضع من " أحكام القرآن "، وذكره ابن خير والمقري، وابن فرحون في " الديباج ".

٥ - المقتبس في القراءات

نسبه إليه حاجي خليفة في " كشف الظنون " [3].

(١) ١/ ٢٠٤، ١٢٤، ١١٦، ٥٩، ٥١.
(٢) ص ٢٣٧.
(٣) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ١/ ٦٧.

ب - الحديث:

١ - عارضة الأحوذي في شرح الترمذي

ذكره بهذا العنوان ابن خلكان في " وفيات الأعيان وسماه في كتابه " سراج المريدين "، بشرح الترمذي.

وذكره المقري في " نفح الطيب ". وطبع الكتاب في ثلاثة عشر مجلدًا.

٢ - شرح الحديث

ذكر المؤلف هذا الكتاب في أحكام القرآن في ثلاثة مواضع، ويحتمل أن يكون هو نفس كتاب شرح صحيح الترمذي.

٣ - كتاب النيرين في الصحيحين

وسماه أحيانا شرح الصحيحن كما فعل في كتابه " أحكام القرآن "، وذكره في كتابه " العواصم من القواصم ".

واقتصر أحيانًا على تسميته " بالنيرين " كما فعل في كتابه " عارضة الأحوذي ".

٤ - الأحاديث المسلسلات

نسبه إليه أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه.

٥ - الأحاديث السباعيات

نسبه إليه أبو بكر بن خير الأشبيلي، ودرسه عليه.

٦ - شرح حديث أم زرع: نسبه إليه المقري " نفح الطيب ".

٧ - شرح حديث الإفك: نسبه إليه المقري " نفح الطيب ".

٨ - شرح حديث جابر في الشفاعة: نسبه إليه المقري " نفح الطيب".

٩ - الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب: ذكره المقري " نفح الطيب ".

١٠ - كتاب مصافحة البخاري ومسلم: أخذه عنه أبو بكر الأشبيلي.

ج - مشكل القرآن والحديث:

يدخل تحت هذا القسم كتاب واحد وهو كتاب " المشكلين "، ذكره في " أحكام القرآن "، ونص عليه في " عارضة الأحوذي.

د - أصول الدين أو علم الكلام:

١ - العواصم من القواصم

وهو كتابنا هذا.

وقد أشار المؤلف نفسه إلى كتابه في عدة كتب من تأليفه كسراج المريدين، وعارضة الأحوذي ونسبه إليه المقري في " نفح الطيب.وابن فرحون في " الديباج ". والشاطبي في " الاعتصام، والذهبي في " تذكرة الحفاظ ".

١ - الدواهي والنواهي

ذكره في كتبه كأحكام القرآن والعواصم من القواصم. ونسبه إليه المقري " نفح الطيب " وذكره حاجي خليفة " كشف الظنون.

٢ - رسالة الغرة

ذكرها المؤلف في العواصم من القواصم وبين أنه كتبها ردًّا على رسالة لابن حزم تسمى " برسالة الدرة في الاعتقاد ".

٣ - الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا: نوه بكتابه هذا في عدة مواضع من مصنفاته كشرح الترمذي وأحكام القرآن.ونسبه المقري في " نفح الطيب ".

قال الدكتور عمار طالبي، حفظه الله: " وقد عثرنا على الكتاب مخطوطًا في خزانة الوثائق بالرباط سنة ١٩٦٧، ووقفنا عليه، وهو يقع تحت رقم ق٤ ".

٤ - كتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد، والردُّ على من خالف السنة، وذوي البدع والإلحاد: ذكره في كتابه " عارضة الأحوذي ".ذكره أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه، ونسبه إليه المقري في " نفح الطيب ".

٥ - كتاب المقسط في شرح المتوسط

ذكره في كتابه " أحكام القرآن "، ونص عليه في غير ما كتاب من مؤلفاته.

ونسبه إليه أبو بكر بن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه.

٦ - نزهة الناظر وتحفة الخواطر: وسماه أحيانا " نزهة المناظر وتحف الخواطر "، ذكره في " العواصم من القواصم من طبعه د. عمار طالبي ولم يذكره المقري ولا ابن خير.

هـ - كتب الزهد:

١ - سراج المريدين في سبيل المهتدين، كاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية، بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية:

هو الكتاب الذي سماه " القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير

"، ذكره مؤلفه في كتابه: " شرح صحيح الترمذي عارضة الأحوذي، وحاجي خليفة " كشف الظنون " نقلا عن تذكرة القرطبي.

ونسبه إليه ابن فرحون " الديباج المذهب.

ويوجد هذا الكتب كاملًا مصورًا في دار الكتب المصرية تحت رقم " ٢٠٣٤٨ب "، وهو مأخوذ عن نسخة الشيخ أحمد بن الصديق الغماري المغربي.

وتوجد نسخة أخرى منه في مكتبة الكتاني بخط أندلسي واضح.

٢ - سراج المهتدين:

نسبه إليه ابن فرحون " الديباج والمقري في " نفح الطيب

٣ - مراقي الزلفي

٤ - كتاب العقد الأكبر للقلب الأصغر

٥ - تفصيل التفصيل بين التحميد والتهليل

و - أصول الفقه:

١ - كتاب المحصول في أصول الفقه

٢ - كتاب التمحيص

ز - كتب الفقه " الفروع ":

١ - المسالك في شرح موطأ الإمام مالك

بني هذا الكتاب على أساس المسائل الفقهية فهو كتاب حديث وفقه في آن واحد، ولكن اخترنا أن نعتبره من كتب الفقه؛ لاهتمام أبي بكر بن العربي في شرحه بمسائل الفقه، ولمعارضته فيه للظاهرية، ونقده لها أعنف النقد فيما يتعلق بالرأي عند الإمام مالك.

٢ - القبس على موطأ مالك بن أنس [١].

ويوجد للكتاب سبعة نسخ متفرقة في مكتبات الجزائر والمغرب وتركيا.

٣ - شرح غريب الرسالة

وهو شرح للألفاظ اللغوية والفقهية الغريبة من رسالة ابن أبي زيد القيرواني المالكي ٣٨٩ هـ.

٤ - تبيين الصحيح في تعيين الذبيح

٥ - كتاب ستر العورة

٦ - كتاب التقصي

ويبدو أنه في الفقه لإشارة المؤلف إليه في أحكام القرآن بصدد مسألة في الوضوء.

٧ - تخليص التخليص

٨ - خليص الطريقتين

ذكره في كتابه " أحكام القرآن "، ويبدو أنه كتاب في الفقه؛ لأنه لأحال إليه في مسألة فقهية تتعلق بالتسمية في الذبح.

ح - الجدل والخلافات:

١ - لكافي في أن لا دليل على النافي

٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف

يقع هذا الكتاب في عشرين مجلدًا، أشار إليه مؤلفه في بعض مصنفاته، وسماه " كتاب المسائل ".

(١) د. عمار طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية: ١/ ٧٨.

ط - اللغة والنحو:

١ - رسالة له في النحو واللغة أطلق عليها " ملجئة المتفقيهن إلى معرفة غوامض النحويين، واللغويين ".

٢ - رده على ابن السيد البطليوسي

رد أبو بكر بن العربي على أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي " ٥٢١ هـ " في شرحه على ديوان أبي العلاء المعري المسمى بلزوم ما لا يلزم، ورد ابن السيد على رد أبي بكر بن العربي بكتاب سماه " الانتصار عمن عدل عن الاستبصار ".

وقد نسب هذا الرد إلى أبي بكر بن العربي تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلي، فهرست ما رواه عن شيوخه.

ى - تاريخ:

١ - ترتيب الرحلة للترغيب في الملة

٢ - أعيان الأعيان

٣ - فهرست شيوخه

ألف أبو بكر بن العربي كتابًا ترجم فيه لشيوخه، سماه تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلي " بكتاب فيه جملة من شيوخ الحافظ أبي بكر بن العربي "، وذكر أنهم واحد وأربعون رجلًا، خرَّج عن كل واحد منهم حديثًا، وأنه قرأه عليه " فهرست ما رواه عن شيوخه ".

وأخيرًا فإن أبا بكر ذكر أن له كتابًا يسمى " بالأمالي " ذكر لك في كتاب " سراج المريدين ".

وذكر أبو بكر بن العربي أن له كتابًا سماه " بالعوض المحمود "، غير أن هذا الكتاب محير لا نعرف أين نضعه غير أنه أشار إلى أنه تحدث فيه عن مسألة الرؤيا، وبين اسم جزء من أجزاء هذا الكتاب وسماه " محاسن الإنسان.

وفاته:

أتاه أجله " بمغيلة " قرب مدينة " فاس " في ربيع الأول سنة ٥٤٣ هـ، ودفن في " فاس " خارج باب المحروق، على مسيرة يوم من " فاس " غربًا منها.

وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج، ودفن يوم الأحد ٧ ربيع الأول سنة ٤٥٣ هـ.

وبموته انطفأت شعلة من الذكاء متقدة، وأفل نجم طلعة متوثبة، وسكنت روح ذات طموح غالب، وخمد ذهن نافذ كان ينير للناس ظلمات حالكة، ويذهب بإشكالات معضلة.

وفاضت نفس توافة إلى تحقيق العدل، وإشاعة مبادئ الأخلاق والدين في الواقع الاجتماعي، وإلى بث الروح العلمية الناقدة الفاحصة، وإلى تكوين جيل جديد على أسس تربوية جديدة.

أقبل صاحب هذه الروح من المشرق ليغرسها في المغرب، وكفاه أنه ما فارق الوجود حتى بذل جهده، وحقق بعض الذي كان يتوق إليه.

رحمه الله رحمة واسعة[1].

* * *

(١) د. عمار طالبي: آراء أبو بكر بن العربي الكلامية: ١/٨٨، مقدمة كتاب العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، للمحقق: محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الاستانبولي، من نشر دار الجيل بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.